مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

اللُّغةُ الاِسْتِعَارِيَّةُ عِنْدَ مَاكْسْ بْلاَكْ:
الْكَشْفُ عَنِ الْخَطِ الْفَاصِلِ بَيْنَ التَّحْلِيلِ وَالْجَمَالِ

تأليف:
أليس جيوليانى

ترجمة:
أحمد فريحي

2025

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 2025-02-25

جميع الحقوق محفوظة © 2025

اللُّغةُ الاِسْتِعَارِيَّةُ عِنْدَ مَاكْسْ بْلاَكْ:
الْكَشْفُ عَنِ الْخَطِ الْفَاصِلِ بَيْنَ التَّحْلِيلِ وَالْجَمَالِ

تأليف: **أليس جيوليانى**[1]
ترجمة: **أحمد فريحي**[2]

1 - **Alice Giuliani**، باحثة، وأستاذة بجامعة مودينا وريجيو إميليا **University of Modena and Reggio Emilia**، شعبة التربية والعلم الإنساني. ارتبطت أعمالها حول الاستعارة عند **آيفور أمسترونغ ريتشاردز**، و**ماكس بلاك**.

2 - أستاذ الفلسفة، حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية التابعة لجامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب.

من المعلوم أنَّ البحث البلاغي العميق في الاستعارة، في الفترة المعاصرة، لم ينفصل عن شخصيتين بارزتين: الشَّخصية الأولى هي النَّاقد الأدبي الإنجليزي **آيفور أرمسترونغ ريتشاردز Ivor Armstrong Richards** (1893-1979)، صاحب أشهر كتاب في البلاغة المعاصرة، والَّذي عنوانه: «فلسفة الخطابة»[1]، بالإضافة إلى كتاب «معنى المعنى»[2]، الَّذي ألَّفه بالاشتراك مع الفيلسوف واللُّغوي الإنجليزي **تشارلز كاي أوغدن Charles Kay Ogden** (1889-1957). والشَّخصية الثانية هي الفيلسوف التَّحليلي الإنجليزي-الأمريكي **ماكس بلاك Max Black** (1909-1988)، صاحب أشهر مقالة في الاستعارة.[3]

إنَّ أهمية هذه المقالة المُترجمة لا ترجع فقط إلى موضوعها، الَّذي يتجلى في انتقال **ماكس بلاك** من تحليل الاستعارة إلى بيان قيمتها الجمالية، وإنَّما تتجلى كذلك في عرضها لتصور **آيفور أرمسترونغ ريتشاردز** لنظريته في المعنى، ولنظريته في الاستعارة التفاعلية، كما تتجلى قيمتها كذلك في تتبعها لمراحل تناول **ماكس بلاك** للاستعارة، ابتداء من **مرحلة الرَّفض**، لما اعتبر الاستعارة نوعا من الغموض، ومرورا **بمرحلة المُواجهة** مع **آيفور أرمسترونغ ريتشاردز**، لما اعتبر نظريته في الاستعارة غير متماسكة، و**مرحلة الاعتراف** بدور الاستعارة في المعرفة، لمَّا تناولها بواسطة التَّحليل، وتبنى التَّصور التفاعلي **لريتشاردز** مع بعض الإضافات، ووصولا إلى اعتبار الاستعارة تتصف بالتَّبصر، وبالنَّظرة الثاقبة، وبالتَّجديد والإبداع، وهي **المرحلة الجمالية**، ثم **مرحلة الجدال والدفاع** عن التَّصور الاستعاري التفاعلي الإبداعي في وجه **دونالد ديفيدسون**، الذي أفرغ الاستعارة من التَّجديد والإبداع وردها إلى التَّوسع، والاستعمال، والحرفية.

بعد الشُّهرة التي نالَها كل من **أوغدن** و**ريتشاردز** و**ماكس بلاك** في مرحلة التأسيس، ظهرت أعمال بالغة الأهمية في البحث الاستعاري قدَّمتها شخصيات بارزة في المجال الفلسفي واللغوي، مثل ما قدَّمه الفيلسوف البلجيكي **شايم بيرلمان Chaim Perlman** (1912-1984)، صاحب كتاب «دراسة في الحجاج، الخطابة الجديدة»[4]؛ وما قدَّمه الفيلسوف الأمريكي **دونالد هيربرت ديفيدسون Donald Herbert Davidson** (1917-2003)، صاحب مقالة «ما تعنيه الاستعارات»[5]؛ وما قدَّمه الفيلسوف الفرنسي **جاك ديريدا Jacques Derrida** (1930-2004)، صاحب مقالة «الأسطورة البيضاء: الاستعارة في النَّص الفلسفي»[6]، وما قدَّمه

1- Richards, I. A., *The Philosophy of Rhetoric*, oxford University Press, London, New York, 1965

2- Ogden, C. K. & I. A. Richards., *The Meaning of Meaning: Study of the Influence of Language upon Thought and of the Science of Symbolism*, A Harvest Book, Harcourt, Brace & World, Inc. New York, First Published in 1923

3- Black, M., "Metaphor", *Meeting of the Aristotelian Society* at 21, Belford Square, W.C.I, On May 23rd, 1955, at 7: 30 p.m.

4- Perlman, Ch. & Lucie Olbrechts-Tyteca., *Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique*, Bruxelles, éditions de l'université de Bruxelles, 1958, nouvelle édition 2009

5- Davidson, H. D., "What Metaphors Mean", in Sheldon Sacks, ed. *On Metaphor*, Chicago University Press, Chicago, 1978

6- Derrida, J., "White Mythology: Metaphor in the Text of Philosophy", New Literary History, Vol. 6, No. 1, *On Metaphor* (autumn, 1974), The Johns Hopkins University Press, pp. 5-74.

الفيلسوف الفرنسي **بول ريكور Paul Ricoeur** (1913-2005)، صاحب كتاب «الاستعارة الحية»[7]، وما قدَّمه الفيلسوف الأمريكي **جون سورل John Searle** (1932)، صاحب كتاب «التعبير والمعنى: دراسات في أفعال الكلام»[8]، وما قدَّمه كلٌّ من اللِّساني الأمريكي **جورج لاكوف Georg Lakoff** (1941)، والفيلسوف الأمريكي **مارك جونسون Mark Johnson** (1949)، اللذان ألفا أشهر كتاب في الاستعارة، وهو «الاستعارة التي نحيا بها».[9]

على الرغم من أهمية وجدة تناول هذه الدراسات في الاستعارة، تبقى مرحلة التأسيس الَّتي دشنها كلٌّ من **ريتشاردز** و**ماكس بلاك** في البحث الاستعاري منعطفا يفصلُ ماضي الاستعارة عن حاضرها، وهي المَنبع الَّذي استقى منه من جاء بعدهما.

7- Ricoeur, P., *La métaphore Vive*, Paris, Seuil, 1975

8- Searle, J., *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, Cambridge University Press, 1999

9- Lakoff, G. & mark Johnson., *Metaphors we Live by*, The University of Chicago Press, 2003

المقالة المترجمة:

تقديمُ المُؤلِّفة:

تتناولُ هذه المقالة مُقترح **ماكس بلاك** الفلسفي حولَ الاستعارة في كونها تكسِّرُ حاجزًا بين التَّحليل والجمال. لقد سعى **ماكس بلاك** لبيان أنَّ التَّحليل كان كافياً لتفسير القيمة المعرفية والإبداعية للاستعارة، غير أنَّ تحليلَه ركَّز أيضًا على الابتكار والتَّبصر الاستعاريين بوصفهما جانبين يتجاوزان المهارات والمقولات التَّحليلية. وعليه، فإنَّ وجهة نظره التَّفاعلية للاستعارة مشحونة بالاهتمام الجمالي؛ وذلك راجع لسببين: فمن جهة، ربما كان منهج التَّحليل يميل إلى استيعاب الاستعارة للاستعارة التَّصورية من منظور معرفي؛ ومن جهة أخرى، توفر دراساتُه الشُّروط اللازمة للتعامل مع الاستعارة باستعمال المقولات الجمالية بوعي نقدي أكبر.

1

لقد كان علمُ الجمال في القرن العشرين في التقليد الأوروبي مرتبطاً بالهيرمينوتيقا والفينومينولوجيا، ومهتمًّا اهتمامًا كبيراً بالاستعارة كأداةٍ للمعرفةٍ وكصناعةٍ للمعنى. وقد حظيت نظرية الاستعارة، قبلَ مُنتصف القرن، بمكانة أيضًا في نظرية التَّأويل الأمريكية للناقد الأدبي **آيڤور أرمسترونج ريتشاردز**، الَّذي دافعَ عن القيمة المَعرفيةِ لآليات الشِّعر والأدب القائمة على نظريته السِّياقية المُهذبة في المعنى. لقد وصفَ الاستعارةَ، في كتابه «**فلسفة البلاغة**» الَّذي صدر سنة 1936، بأنَّها **تفاعلٌ** بقوله: «لمَّا نستعملُ استعارةً، تكونُ لدينا فكرتانِ عن شيئيْنِ مُختلفيْن تتفاعلانِ فيما بينهما، وتُدْعَما بلفظٍ واحدٍ أو عبارةٍ واحدةٍ، يكونُ معناها نتاجاً لتفاعُلهما».[10] لذلك، يتمُ تأويلُ الاستعارةِ على أنَّها «زوجٌ يتألفُ من عنصرين غير قابلٍ للقسمة»، وهو الزَّوج الَّذي يُسمَّى **المَحمولُ** و**الحَاملُ**، يتفاعلانِ مع بعضهما بعض. ويُطالبُ **آيڤور** أيضًا بالتَّمييز بين الاستعارةِ **الوظيفية** والضَّرورية، والاستعارة البديعية.[11] ويقول إنَّه لا يمكنُ استبدالُ الاستعارةِ، في الشَّعر على الخصوص؛ لأنَّ المعنى النَّاتج عن التَّفاعل لا يُمكنُ تحصيلُه بطريقة أخرى. إنَّ الفكرتين تتعاونان لإنتاجِ «معنى يتمتعُ بقُدراتٍ أكثر تنوعًا ممَّا يمكنُ أنْ يُعزى إلى أيِّ واحدٍ منهُما».[12]

10 - انظر كتاب آيڤور أرمسترونغ ريتشاردز **فلسفة الخطابة**، 1936، ص.93

11 - انظر مقالة آيڤور أرمسترونغ ريتشاردز «المعنى الوجداني كذلك»، ص.150

12 - مقالة ريتشاردز «المعنى الوجداني كذلك»، 1948، ص.100

يتطلبُ فهمُ التَّفاعل عند **ريتشاردز** تحويل الانتباه إلى **التَّرميز** على حساب وظيفةِ **الإشارة**[13]؛ إذ لا يعد اللَّفظ، في نظريته، بديلاً عن المشار إليه، وإنَّما يُمثِّل «تأليفا للسِّمات العامة» من خلال سياقاته.[14] إن معنى استعارة ما يرجع بالفعل إلى **فعاليتها المفوضة**، إنَّ الاستعارات على حد قوله: «هي بدائل تمارسُ قدراتٍ عما ليس هنا».[15] ومع ذلك، يجبُ ملاحظةُ استعمال **ريتشاردز** للألفاظ في ضوء المواجهة مع **ماكس بلاك**.[16] لقد ادعى **ريتشاردز** القوة الرَّائدة للتَّفاعل والتَّرميز ضِدَّ الإشارة، لكنَّه أكد أن «الدِّفاع عن» العلامة هو نوعٌ من الاستبدالِ.

في مقالة **ريتشاردز** الثانية عن الاستعارة المنشورة في كتاب «**فلسفة البلاغة**»، المُسمَّاة «**سيطرة الاستعارة**»، فإن القضية التي تمت معالجتها تتعلق بوضع خطاب **حول** الاستعارة. يتخذ **ريتشاردز**، في هذه المقالة التي تزخر بالأمثلة الأدبية، الشاعر **كوليردج** كأديب ملهم لفكرة أنَّ الألفاظ ليست وسيلة لنسخ الحياة، وإنَّما تشكل تجربتنا؛ أي تشكل «أنماطنا في النظر، وفي الحب، وفي الفعل». يدعي **ريتشاردز** هنا الاستمرارية بين الاستعمال العادي للغة واللغة المستعملة في التأويل: يدافع، في حالة الاستعارة، على أن الاستعارات ضرورية لتفسير مفهوم الاستعارة نفسها، من جهة؛ ويدعي، من جهة أخرى، أن تأويل الاستعارة يجبُ أنْ يؤدي إلى استعمالٍ أفضلٍ للغة؛ أي يؤدي إلى «سيطرةٍ أفضل على العالم **الَّذي نصنَعُه لأنفسنا** للعيش فيه».[17]

وقد تناولَ **ريتشاردز** موضوعَ الاستعارة لاحقًا في سنة 1948 في مقالة حول «المعنى الوجداني» ألقيت في جامعة كورنيل. افترض، في سياق حديثه في هذه المقالة، أنَّ الفلسفة هي **ممارسة التأويل**[18]: فهو يقول إن الفلسفة، هي أكثر من مجرد «تحليلات، أو أطروحات، أو انتقادات لاذعة»، تتعامل مع استعمال اللغة ومع

---

13 - لا يمكن فهم التَّرميز والإشارة عند **ريتشاردز** إلاَّ من خلال فهم «المثلث السميائي»، أو «مثلث المعنى»، الذي وضعه كل من **ريتشاردز** و**أوغدن** في كتابهما «معنى المعنى»، والذي وضعت خطاطته كالآتي:

فالإشارة أو الفكر (أي المعنى) في قمة المثلث ترتبط بالرمز (أي اللفظ) في الضلع الأيسر للمثلث، والعلاقة بينهما سببية، وتتصف بالدقة، والمعنى يفهم عن طريق الترميز؛ كما ترتبط الإشارة بالمشار إليه (أي الشيء الذي يرمز إليه اللفظ) في الضلع الأيمن للمثلث، وترتبط بينهما علاقة سببية كذلك، وتتصف بالملاءمة؛ والمعنى يفهم من خلال ما يشير إليه. أما قاعدة المثلث، فتشمل اللفظ (الرمز)، والمشار إليه، وهي علاقة غير قارة، وتكون اعتباطية، تشبه إلى حد ما علاقة الدال بالمدلول عند **فيردناند دو سوسير**. إن الألفاظ مجرد رموز لا تحمل معناها في ذاتها، وليس للفظ معنى واحد كوني، وإنما له معنى بحسب قائله داخل سياق معين، وهذا اللفظ يشير إلى شيء ما إما بشكل مباشر كما ندركه أمامنا، أو بشكل غير مباشر كما نتمثله أو نتذكره، وعن طريق العلاقة غير القارة بين اللفظ وما يشير إليه يحصل المعنى في الذهن، وهو الذي يسميه ريتشاردز الإشارة. يمكن أن نفهم معنى الإشارة عند **ريتشاردز** و**أغدن** مما قاله **كوتلوب فريكّه** في مقالته «المعنى والإشارة»، لما اعتبر معنى القضية يتجلى فيما تشير إليه. (المترجم).

14 - ريتشاردز، آيفور أرمسترونغ، **فلسفة البلاغة**، (1936)، ص.93

15 - نفس المصدر، ص.32

16 - جولياني، (2023).

17 - ريتشاردز، **فلسفة البلاغة**، ص.134-135. الكتابة بخط غليظ الدالة على التأكيد من عمل الكاتبة.

18 - ريتشاردز، (1948)، «المعنى الوجداني كذلك»، ص.156

معنى الألفاظ في الحجج مثل «يصحُ»، و«يقول»، و«يعني»، و«يؤمن»، و«يفهم».[19] ففي حالة الاستعارة، تهدف الفلسفة بوصفها تأويلاً إلى طرح أسئلة حول الاستعارة وحول الخطاب حول الاستعارة: فعلى سبيل المثال، ما معنى «القول» لَمَّا يجادلُ المرء بأنَّ ما يُقالُ بالاستعارة ليس هو نفسه ما يُقالُ بدونها. ويدعي **ريتشاردز**، بالإضافة إلى ذلك، أنَّ مَهمة الفلسفة هي التَّوسط بين **الأنماط** المُختلفة للغة: وتعتمد سُلطة الفلسفة، على حسب رأيه، على جُهودها لحفظ اللُّغات من التَّشويش المُشترك.[20]

وقد استضافتْ نفسُ النَّدوة حول المعنى الوجداني المساهمة التي قدمها **ماكس بلاك**. إنَّ مفهومَ التَّفاعل بوصفه نتاجًا للمعنى، وفكرة الفلسفة بوصفها ممارسة تتعلق باستعمال اللغة، والقوة التأسيسية للغة، كلُّها قضايا للمواجهة بين **ريتشاردز** و**ماكس بلاك**. لقد كان **ماكس بلاك**، في الأربعينيات من القرن الماضي، ما زال من رواد **مدرسة كامبريدج للتحليل**، والتي عمل أعضاؤها على التَّحليلِ الفلسفيِّ المستوحى من تأويلات **راسل** و**فيدغنشتاين** للذرية المنطقية ومن دراسات **مور** السَّابقة.[21] لقد درس **ماكس بلاك** بصفته رياضيا بجامعة كامبريدج، وسرعان ما أصبح مهتمًّا بالبحث الفلسفي؛ لأنَّه استوحى إلهامه من محاضرات **مور**، و**رامسي**، و**فيدغنشتاين**.[22] وكان يعمل، في السنوات التالية، على صياغةِ أسلوبٍ فلسفيٍّ أُطلقَ عليه فيما بعد اسم «ترابط المفاهيم»: يهدف تحليل مفهوم ما، بالنسبة إليه، إلى توضيح المعايير الَّتي تحكم استعمال اللفظ أو التعبير المتوافق من خلال وصف حالات واضحة وغير إشكالية لتطبيقه.[23] وقد ساهم النشاط الثقافي **لماكس بلاك**، خلال السنوات التي قضاها بجامعة كامبريدج، في لقاءه بكل من **أوغدن** و**ريتشاردز**، مؤلفا كتاب «**معنى المعنى**» الذي صدر سنة 1923، والذي كان دراسة افتتاحية في مجال اللُّغويات والدَّلاليات. لقد أثار **ريتشاردز** اهتمام **ماكس بلاك** الدائم بالاستعارة وغيرها من الاستعمالات غير العلمية للغة.[24] ومع ذلك، يلقي **ماكس بلاك** في سنة 1948 باللوم على غياب نظرية «متسقة ومتماسكة» للمعنى الوجداني في دراسة **أوغدن** و**ريتشاردز** وفي عمل **ريتشاردز** اللاحق أيضا.[25] فبمجرد وصف الاستعمال غير الإشاري للغة بأنه وجداني، فإنهما قد فشلا في تعريف المعنى الوجداني بواسطة المعنى الإشاري.[26] إنَّ عدم تعريف المفاهيم، بالنسبة إلى **ماكس بلاك**، ناتج عادةً عن تشعبات قسرية تؤدي إلى حُجج غيرُ مُتماسكة. وفي حالة المعنى الوجداني، يلقي **ماكس بلاك** باللوم على التَّعريف «الضيق للغاية» لـلفظ «المشار إليه»، والَّذي ينبعُ بدوره من اتخاذ الدَّلالة كمعيار

19 - نفس المصدر، ص.155

20 - نفس المصدر، ص ص.152-153

21 - بيني، مايكل، (2016/2008)، «التحليل»، موقع جامعة سانفورد الإليكتروني.

22 - بلاك، ماكس، (1985)، ص.11

23 - نفس المصدر، ص ص.13-14

24 - بلاك، ماكس، (1985)، ص.11

25 - بلاك، ماكس، (1948)، «بعض التساؤلات حول المعنى الوجداني»، ص.112

26 - نفس المصدر، ص ص.111-112

للوظيفة الرَّمزية.[27] ومن ثم يدعو إلى تجنب التَّعارض بين ما هو وجداني وما هو إشاري، وبالتالي تحديد المعنى الوجداني وغير الإشاري، على أساس توضيح معنى الإشارة.[28]

بالنِّسبة إلى **ماكس بلاك**، إنَّ المذهب الإسمي الضِّمني **لريتشاردز** يمنعُ خطابَه من تفسير كلٍّ من الإشارة الرَّمزية والتَّفاعل بوضوح؛ أي كيف يصبحُ للفظين دلالة مع بعضهما بعض.[29] إن جهد **ماكس بلاك** في توضيح التَّفاعل يقوده إلى دراسة الاستعارة. لقد أكد **ريتشاردز** بالفعل أنَّ الاستعارة كانت نموذجًا للتفاعل الرَّمزي في اللغة.[30] كان يعتقد، في سنة 1948، أنَّ النَّقل الاستعاريَّ هو أساس «الفطرة السليمة»؛ لأنَّ مُعظم الطُّرائق التَّقليدية لرؤية أنفسنا وعلاقاتنا تعتمد على «نقل طرائق التَّفكير» من «عالم خطاب» إلى عالم خطاب آخر.[31] كما اعتبر أنَّ الفلسفةَ بوصفها تحليلاً للُّغة ليست ملائمةً لفهم الاستعارةِ: إن التَّحليل الضروري يعني وجهة نظر بديلة للاستعارة، والَّتي تم اعتبارها رمزًا يجبُ استبداله ببعض التَّعبيرات المتكافئة. وقد كان **ماكس بلاك** على استعداد لاستعمال التَّحليل لتوضيحِ الاستعارة من أجلِ توضيحِ معنى التَّفاعل.

2

لَمْ تكنِ الاستعارةُ في البداية موضوعًا صَريحًا لبحث **ماكس بلاك**، وإنَّما تم تعريفها في علاقتها بتحليل المفاهيم الأخرى. لقد وضع **ماكس بلاك** الاستعارة، في دراساته الفلسفية الأولى، في مجال الغُموض: لقد كانت رمزًا غير دقيق بما يكفي لتحليله، وكانت شكلًا من أشكال الغموض يجب إعادته إلى الوضوح.[32] لقد ذكر، بعد سنوات، في كتابه المنطقي، **التَّفكير النَّقدي** الَّذي صدر سنة1952، الفرق بين الاستعارة والغموض، بينما يواجهنا اللفظ الغامض بالاختيار المستحيل بين إشارات مختلفة، فإن الاستعارة - أي اللفظ الذي يظهرُ استعاريا في سياق معين - يشير إلى مشار إليه غيرُ مألوفٍ على أساس بعض التَّشابه. وبعد المواجهة مع **ريتشاردز** في سنة 1948، تناول **بلاك** الاستعارة كقضية أكثر تحديدًا. وفي سنة 1955 نشر مقالة «**الاستعارة**»، وهي المقالة التي أصبحت عملاً أساسيًا لنظرية الاستعارة في فلسفة القرن العشرين.[33] وفي سنة 1983 أعلن أن هدفه في سنة 1955 كان يسعى إلى «إنشاء استيعاب جديد» لرؤى **ريتشاردز** من خلال تصحيح تمييزه «الأولي» والتخطيطي إلى حد ما» بين «المعنى الدال» و«المعنى الوجداني».[34] إنه، إذا نظرنا إلى **الاستعارة** في ضوء المُواجهة السَّابقة

27 - نفس المصدر، ص.113.

28 - نفس المصدر، ص.115.

29 - نفس المصدر، ص.114.

30 - ريتشاردز، (1936)، ص.92.

31 - ريتشاردز، (1948)، ص.151.

32 - بلاك، ماكس، (1932-1933) «التحليل الفلسفي»، ص.242. راجع مقالة جولياني، (2017) حول الاستعارة عند ماكس بلاك (مكتوبة بالإيطالية).

33 - كونتيني، أناماريا، (2020)، ص.121.

34 - بلاك، ماكس، (1983)، ترجمة جولياني، ص.7.

بين **ماكس بلاك** و**ريتشاردز**، فإنه يمكن تحديد نطاقٍ نظريٍّ مُتعدد. ومن ناحية أخرى، إن ماكس **بلاك** يحرص على توضيح كيفية صياغة مفهوم الاستعارة من أجل تقديم تعريف مقبول، ثم إنه يتظاهر من خلال تعريفه بتوضيح مفهوم التَّفاعل الذي تناوله **ريتشاردز**. وأخيراً، وبشكل أكثر عمومية، يقترح أنَّ التَّحليل الفلسفي ذاته ملتزم بتحديد تعدُّد أنماط الإشارة.

وفيما يتعلق بالنُّقطة الأولى؛ أي توضيح مفهوم الاستعارة، يقدِّم **ماكس بلاك** قائمة «أمثلة لا لبس فيها» لاستعمال لفظ «استعارة».[35] وعلى هذا الأساس، يؤكد مؤقتًا أنَّه «لما نتحدَّث عن استعارة بسيطة نسبيًّا، فإنَّنا نشيرُ إلى جملة أو تعبير آخر؛ إذ تُستعمل بعض الألفاظ استعاريا، فيما تُستعمل البقية على نحو غير استعاري».[36] ويطلقُ على اللفظ المستعمل استعاريا في الجملة اسم «المحور» ويطلق على بقية الجملة «الإطار».[37]

بعدما بيَّن **ماكس بلاك** حدود بعض المفاهيم البديلة للاستعارة، عاد إلى فكرة **ريتشاردز** عن التَّفاعل من خلال اقتباس حرفي لتعريفه من كتاب «**فلسفة البلاغة**» في قوله: «لمَّا نستعملُ استعارة، تكون لدينا فكرتان عن شيئين مُختلفين يتفاعلان مع بعضهما بعض، وتكون ومدعومة بلفظ واحد، أو عبارة واحدة، ومعناهما هو نتيجة لتفاعلهما».[38] يسلط **ماكس بلاك** هنا الضوء على جانبين: فهو يشير إلى أنَّ **ريتشاردز** يستعملُ الاستعارة («التفاعلية») للحديث عن الاستعارة نفسها، ويُظهر أن الاستعارة «التفاعلية» تهدف إلى التأكيد على القوة الدِّيناميكية للاستعارة وتأثيرها على المتلقي. لقد زعمَ **ريتشاردز** بالفعل أنَّ القارئ المتلقي للاستعارة «العاملة» مُجبَّر على ربط معنين مُختلفين، ويجبُ أنْ ينتبِه إلى المعاني القديمة، وينتبه إلى المعاني الجديدة الناتجة عن التفاعل.[39] يتفقُ **ماكس بلاك** مع **ريتشاردز** في وضع الاستعارة خارج المنظور التَّشبيهي. ومع ذلك، يبدو له أنَّ هناك نقطتين تحتاجان إلى مزيد من التَّوضيح: النقطة الأولى، تتجلى في **الارتباط** الذي تحدده الاستعارة، والذي يبدو أنَّه «سر الاستعارة وغموضها»؛ والنقطة الثانية، تتجلى في أنَّه يجب تأويل كيفية نشوء **معانٍ جديدة** عن التَّفاعل؛ أي تأويل كيفية «حُدُوث توسعٍ أو تغيُّرٍ في المعنى».

يُقدِّم **ماكس بلاك** بعض المُحاولات لفهم التَّفاعل وتأثيراته من خلال **التمثيلات**. أولاً، يتمُ تقديم تمثيل **المرشِّح** وحَمْله على مثال «الإنسان ذئب»؛ وذلك من أجل تقديم تصور للارتباط الَّذي تحدِّدُه الاستعارة. يُعرِّف **ماكس بلاك** الجملة الاستعارية بأنَّها تفاعل بين «نسقين من المواطن المشتركة»، أو «نسقين مرتبطين من حيث المضامين» مرتبطة بموضوعين: موضوع رئيس (أي **الإطار**، إذا جاز التعبير، وهو المشار إليه «الحقيقي» في العبارة)، وموضوع ثانوي؛ أي اللَّفظ المُستعمل استعارياً (أي المحور). إن «نسق المواطن المشتركة» هو اسم

35 - بلاك، ماكس، (1954-1955)، «الاستعارة»، ص.274-275

36 - نفس المصدر، ص.275

37 - نفس المصدر، ص ص.275-276

38 - ريتشاردز، (1936)، ص.93

39 - بلاك، ماكس، (1954-1955)، ص.286

لمجموع المُعتقدات التمثيلية الَّتي يقبلُها المُتحدث الَّذي يستعملُ اللَّفظ حرفيًّا؛ أي المواطن المشتركة الَّتي يُستدل عليها عادةً من خلال الاستعمالات الحَرفية للفظ.[40]

تعملُ الاستعارةُ كمُرشح، بالنِّسبة إلى **ماكس بلاك**، لأنَّها تُمارس قوة استحضارية وقوة انتقائية. إنَّ تسميةَ رجلٍ بالذئب استعاريًّا هو استحضارٌ لنسقِ الذئب في المواطن المشتركة المرتبطة به. والخطوة التالية هي تطبيقُ المُرشح. إنَّ استعمالَ المُرشح؛ أي فهم الاستعارة، يعني تحديد العِبارات المُضمرة الَّتي يمكن تكيِّيفُها («أي جعلها مناسبة») للإنسانِ «بمعنى عادي أو غير عادي». وتماشياً مع التَّمثيل المُقدَّم، يجبُ أن تكونَ هذه العبارات نقطا للاتصال؛ أي نقط الَّتي يسمحُ فيها المُرشح برؤية شيء ما. يتعلق الأمر خارج التمثيل باختيار السِّمات البشرية الَّتي يمكنُ قولُها بلغة الذئب (فكونه مفترسًا، على سبيل المثال، يمكن أن يكون له معنى بالنسبة إلى الإنسان أيضًا). إذا كانتِ الاستعارةُ ملائمة، والمتلقي مناسبًا، كما يقول **ماكس بلاك**، فيجبُ أنْ يكونَ من الممكن بناءُ نسق من المضامين فيما يتعلقُ بالإنسان منظمًا على أساس التَّوافق مع نسقِ الذِّئب. ولا ننسى أنَّ الارتباطَ الَّذي تحدَّث عنه **ريتشاردز** يُقصد به بالأحرى أنْ يكونَ مبنيًّا على التَّوافق.

وإذا فكرنا في الاستعارة كشاشة، كما يقولُ **ماكس بلاك**، فيمكننا أنْ نقول أيضًا إنَّ الموضوع الرَّئيس **يُرى من خلال** التَّعبير الاستعاري أو، إذا فضلنا القول، فإنَّ الموضوع الرئيس **يُسقط على** مجال الموضوع الثانوي.[41] وفي كلتا الحالتين، فإنَّ الارتباط الَّذي تحدِّده الاستعارة هو التوافق بين نسقين من المضامين التي تحدِّد التَّنظيم التَّصوري للموضوع الرَّئيس للاستعارة.

إنَّ النُّقطة الثَّانية الَّتي ينبغي تفسيرُها وتوضيحُها فيما يتعلق بأن تفاعل الاستعارة يتجلى في كونه تجديدا. ويطال التجديد أولاً جدة المضامين المنتجة. إن المضامين الناتجة عن الإسقاط هي مضامين **جديدة**. ومن وجهة نظر تمثيل المرشح، فإن التجديد يرجع أولاً إلى القُوة الاستثارية للاستعارة. فالقوة المُعبِّرة للاستعارة تسلِّط الضَّوءَ على السِّمات الَّتي لا تستحضرها عادة الاستعمالاتُ الحرفيَّة للفظ «الإنسان» وتوسعها. ولكن الشرط الحقيقي للتجديد يتجلى في العمل التَّنظيمي للمرشح. «إنَّ استعارةَ الذِّئب تتجاهلُ بعض التَّفاصيل، وتشدِّد على تفاصيل أخرى ـ وباختصار، إنَّها تنظم وجهة نظرنا عن الإنسان».[42] إنَّها ليست مجرد مسألة تعريف، وبيان، وإعادة تسمية: إنَّ تأثير المواجهة بين المحور والإطار هو بمثابة «تنظيم» جديد. فالإنسانُ الذي يُرى من خلال مُرشِّح الذِّئب هو إنسان جديد، يُنظَر إليه تبعاً لمقولات مختلفة: إنَّ ترشيح سمة «الافتراس»، لا تعني فقط القولَ إنَّه يتمتعُ بعدوانية تشبه الذِّئب؛ وهذا يعني التَّفكير في الإنسان باستعمال مقولة ثنائية الدفاع/العدوان. وهذا تغييرٌ في المنظور الذي يفتح بدوره مضامين جديدة، ويسمح بإقامة روابط تفسر سلوك الإنسان على نحو مُختلف.

---

40 - نفس المصدر، ص.288.

41 - نفس المصدر، نفس الصفحة.

42 - نفس المصدر، نفس الصفحة.

بيد أنَّ التَّجديد هو أيضًا توسُّع في معنى المحور بسبب الإطار، ففي مثال **ماكس بلاك** «الفقراء زنوج أوروبا»: يكتسبُ اللَّفظ المحوري («زنوج») «معنى جديدًا، وهو ليس معناه في الاستعمالات الحرفية مطلقاً».[43] وفيما يتعلقُ باستعارة «الإنسان ذئب»، يدلي **بلاك** بملاحظة للإشارة إلى «إضفاء الطَّابع الإنساني» على الذِّئب أيضًا بقوله: «إذا كانت تسميةُ رجل بالذِّئب تعني وضعَه في وضع خاص، فيجبُ ألاَّ ننسى أنَّ الاستعارةَ تجعلُ الذئبَ يبدو أكثر إنسانية ممَّا كان ليبدو عليه».[44] بعبارة أخرى، فلا يظل نسق المضامين للتعبير الاستعاري دون تغيير بسبب العبارة الاستعارية.

إنَّ فكرة التَّفاعل بين نسقي المضامين، حسب **ماكس بلاك**، كافية لتفسير الاستعارات التي تعمل كأدوات معرفية. فالاستعارات التفاعلية **مطلوبة** من أجل «العملية **الفكرية** المميزة [...] التي تتطلب **وعيًا** متزامنًا لكلا الموضوعين، ولكن لا يمكن اختزالها في أي تشبيه بين الاثنين».[45] هنا ينشأ شعور آخر بـ «التجديد». إنَّ المضمون المعرفي للاستعارات ليس مجرد بيان للتوافقات بين المعنين المُنخرطين في التَّفاعل. إنَّ التَّشديدَ جزءٌ ضروري من المضمون المعرفي للاستعارة؛ لأنَّه ينظِّم أولوية ووزن الدلالتين. يقول **ماكس بلاك** إنَّ الاستعارة المختزلة في مجموعة من التوافقات «ستفشلُ» في تقديم نفس **التَّبصر** الذي قدَّمته الاستعارة؛ أي «شعور لطيف بـ ... الأولويات المرتبطة ودرجات الأهمية» للمضامين.[46]

3

قد يُنظر إلى تحليل **الاستعارة** على أنَّه محاولة لبيان أنَّ التَّحليلَ يحافظُ على الجانب الموضوعي والإشاري للمعنى الاستعاري، ولكنَّه ينسبُ إليه أيضًا بعض سمات عدم القابلية للرد. يعتمدُ التَّفاعل الذي حدَّده تحليل **ماكس بلاك** على التَّوافقات والتمثيلات، غير أن معنى الاستعارة يختلفُ عن الرَّبط، أو التَّشبيه، أو الاستبدال لمعاني الألفاظ المَعنية. ويلزم عن ذلك أنَّ الاستعارة لا يمكنُ استبدالُها بعباراتٍ حرفيةٍ من باب المُماثلة أو التَّشبيه. إنَّ التَّجديد سمةٌ أساسية للاستعارة المعرفية، ويرجع ذلك إلى القوة المُتبادَلة للمحور والإطار؛ إذ «سيكون من الأكثر تنويرًا في بعض الحالات أنْ نقولَ إن الاستعارة **تخلق** التَّشابه بدلاً من القولِ إنَّها تصوغ بعض التَّشابُه الحاصل مسبقًا».[47]

إنَّ قوة التَّجديدَ تجعلُ الاستعارةَ أقرب إلى نوع من **الإبداع**، وهو أمرٌ يجعلُ من الممكن الجمع بين صور أو أفكار مختلفة. وقد تذكرنا فكرة مثل هذا الإبداع بمفهومٍ رياضيٍّ واردٍ في مقالة **ماكس بلاك** تحت عنوان

43 - نفس المصدر، ص.286.

44 - نفس المصدر، ص.291.

45 - نفس المصدر، ص.293.

46 - نفس المصدر، ص ص.293-294

47 - بلاك، ماكس، (1954-1955)، ص ص.284-285).

«**العباراتُ والقواعد الضَّرورية**».[48] يتحدث **ماكس بلاك** في هذه المقالة عن التأكيدات الضرورية بوصفها تلك الـتَّأكيدات الَّتي تسمحُ بتعريفِ بعض الموضوعات الشَّاذة ظاهريًا مع الحفاظ على القواعد السَّارية في النَّسق. يذكر **ماكس بلاك** حالة التقاء الخطوط المتوازية عند نقطة اللانهاية: يسمح إبداع «نقطة اللانهاية» بتعريف الخطوط المتوازية تبعا للقواعد العامة للخطوط، وتبعا لعلاقتها بنقطة. وعلى غرار ذلك، يشير **ماكس بلاك** في مثال آخر إلى أنَّ التَّحدُّث عن الخط المُستقيم من حيث كونه «دائرة بنصف قطر يميل إلى اللانهاية» يجعلُ من المُمكن تضمين كلاًّ من الشَّكلين (الدَّائرة والخط المستقيم) في نظريةٍ واحدة: يمكنُ رؤيةُ الخط المستقيم كدائرة، وتجد الدائرة، في هذا التَّوسُّع الشَّديد، جسمًا خارج المجالِ ظاهريًا.[49] إنَّ هذا الإبداع يفي بوظيفةَ إنشاء رابط يتمُ من خلاله تعريف الرُّموز المُحدَّدة والمُميَّزة من خلالِ بعضِها بعض.

قد يتفقُ **ماكس بلاك** مع أنَّ الاستعارات المعرفية تعملُ بطريقةٍ مُماثلة؛ لأنَّها **تُؤسِّس الشَّرط** للمقارنة النِّهائية بين الموضوعات المُختلفة.

إنَّ فكرة الاستعارة بوصفها إبداعاً و«تصرفاً» مُهمة أيضاً للمُقارنة بين الاستعارات والنَّماذج الَّتي يقدِّمها **ماكس بلاك** في كتابه: «**النَّماذج والأنماط الأصلية**» الَّذي صدر سنة 1962.[50] ينطلق **ماكس بلاك** في هذا الكتاب من الفكرة العامة للنموذج. فالاستعمالُ العلمي للنماذج يسمحُ بفهم مجال أصلي له أهمية من خلال تأكيدات مجالٍ ثانوي «غير إشكالي نسبياً، أو مألوف أو أفضل تنظيماً» من المجال الأول؛ أي المجال الَّذي نمتلكُ المعرفةَ اللاَّزمة **لفهمه على نحو حدسي**.[51] ويمكنُ أن يكونَ استعمالُ النَّماذج إما إرشاديًّا أو تفسيريًّا في المقام الأول. وتتمتعُ النماذج التمثيلية بقوة إرشادية، ولكنَّها تتمتعُ أيضاً بدرجة عالية من التَّجريد. وهي تهدف إلى إعادة إنتاج بنية (أو «شبكة من العلاقات») المجال الأصلي فقط في وسط مُختلف (مثل الدَّوائر الهيدروليكية للأنظمة الاقتصادية) على أساس التَّوافقات التَّمثيلية. ويتلخص تطبيق النَّموذج التَّمثيلي في ترجمة افتراضاته في المَجال الجَديد.[52] ومع ذلك، فإنَّ الاستدلالات الصَّحيحة في التَّجريد لا تثبتُ صحة تداعياتها خارج النَّموذج في مجال التَّطبيق.[53] ولهذا السبب، بالنسبة إلى **ماكس بلاك**، تقدمُ النَّماذج التَّمثيلية فرضيات معقولة، ولا تقدِّم **أدلة** بُرهانية.[54]

بالنِّسبة إلى النَّماذج النَّظرية ذات الاستعمال الوجودي، يستشهد **ماكس بلاك** بـ «السَّائل غير القابل للانضغاط» عند **ماكسويل** بوصفه نموذجاً للمجال الكهربائي. إنَّ تفسير تأثير القوى في المجال الكهربائي مُمكنٌ؛

---

48 - بلاك، ماكس، (1962ب) «العبارات الضرورية والقواعد»، نشرت في كتابه: **النماذج والأنماط الأصلية: دراسات في اللغة والفلسفة** سنة 1962. ونشرت لأول مرة سنة 1958

49 - نفس المصدر، ص.80-84

50 - بلاك، ماكس، (1962أ)، «النماذج والأنماط الأصلية».

51 - نفس المصدر، ص ص.232-233

52 - نفس المصدر، ص ص.230-231

53 - نفس المصدر، ص.226-228

54 - نفس المصدر، ص ص.222-223

لأنَّ المجال **يُنظر إليه على** أنَّه ذلك السَّائل، وليس على أنه، على سبيل المثال، شيء **ممتلئ** بالسَّائل الذي وصفه **ماكسويل**.[55] يُظهِر تاريخ الفيزياء نفسه، بالنسبة إلى **ماكس بلاك**، حالات مماثلة أخرى: من قبيل النَّماذج الَّتي جعلت الاكتشافات الأساسية مُمكنة، مثل النِّظام الشَّمسي لرثنفورد ونموذج بور للذرة، فالاصطلاحات لم تُستعمل للمقارنة بين مجالين يتمُ إجراؤها من مُوقف محايد، ولكن كلغات مطلوبة للتَّفكير في مجال التَّطبيق. إنَّ نموذج الذَّرة لا يُعد ترجمة أو «لباسًا خياليًّا» للصِّيغة الرِّياضية، ممَّا يمنحُها مزيدًا من الواقعية، ولكنَّه اللُّغة التي يُنظر بها إلى الذَّرة **كما هي**.[56] يتم تطبيقُ النَّموذج النَّظري على المجال الجديد، حيثُ لا يتمُ التَّحكم في الاستدلالات **بواسطة** التَّمثيل، وإنما يتم تنفيذُها «عن طريق و**بواسطة** التَّمثيل الأساسي».[57]

إنَّ الدِّراسة الَّتي أُجريت على النَّماذج النَّظرية تسمحُ **لماكس بلاك** بتوضيح معنى التَّجديد في الاستعارة التَّفاعلية. فهو يكتب أنه في الوقت الذي يتطلب النَّموذج الإرشادي من المرء أنَّ يضع نفسه في موقف محايد من أجل إجراء مُقارنة تستند إلى التوافقات التَّمثيلية، فإن النَّموذج التفسيري «يتطلب تحديدًا نموذجيًّا للاستعارة».[58] ويرى **ماكس بلاك**، بالإضافة إلى ذلك، أنَّ النموذج التفسيري يعمل **كأداة تأملية** (إذ يقتبس هذا التعبير من كتاب **ريتشاردز** «فلسفة البلاغة»)، حيث يعملُ على «زواج الموضوعات المُتباينة» و«نقل المضامين» مع نتائج «غير متوقعة». إنَّ النَّموذج النَّظري يساعدنا «على ملاحظة ما قد يتمَ تجاهله، وتحويل التَّركيز النسبي المرتبط بالتَّفاصيل - وباختصار، الوصول إلى رؤية ارتباطات جديدة»، وبالتالي فإنَّه يؤدي إلى استنتاجات لا تتحركُ فقط في مسارات مُعدة.[59]

4

وبعد سنوات عدة، كتب **ماكس بلاك** في سنة 1977 مرة أخرى عن الاستعارة؛ فالتعريف الاستعاري الذي كان يتعامل معه في هذه الدراسة حول النَّماذج يأتي في المقدمة. ففي هذه المقالة المسماة «**مزيدا من الحديث عن الاستعارة**»، يذكر **ماكس بلاك** أنَّ التفكير الاستعاري يجب أن يُميَّز بوضوح عن التفكير التَّمثيلي: إذ يحتاجُ مستعملُ الاستعارة إلى التَّعبير عمَّا يفعله بوصفه «تفكيرًا في شيء (أ) باعتباره شيئًا آخر»، وليس باعتباره «تشبيه (أ) بـ (ب)» أو «تفكيرًا فيما إذا كانت (أ) هي (ب)».[60] يكتب **بلاك**، بالإضافة إلى ذلك، أن الاستعارة هي «على الأقل (**ولكن ليس هذا، مجرد**)» التَّفكير في شيء (أ) بوصفه شيئًا آخر.[61] إنَّ الفكر الاستعاري، المُعبر عنه من خلال «التَّفكير في شيء ما على أنَّه»، لا يفي بمعنى التَّعبير الاستعاري. يكتب ماكس **بلاك** أنَّ «الفكر

55 - نفس المصدر، ص.228.

56 - نفس المصدر، ص.229.

57 - نفس المصدر، ص.229.

58 - نفس الصدر، ص.228.

59 - نفس المصدر، ص ص.236-237

60 - بلاك، ماكس، (1977)، «مزيدا من الحديث عن الاستعارة»، 446

61 - نفس الصدر، ص.446.

و**التَّعبير** الاستعاريين [كتابة اللفظ بخط غليظ من عمل الكاتبة] يُجسدان أحيانًا تبصرا لا يمكن التَّعبير عنه بأيِّ طريقة أخرى».[62] يقترح **ماكس بلاك** مثالاً على «استعارة جيدة» في هذا السياق بقوله: «الحياة هي تلقي ونقل المعلومات». إذا أخذنا هذه الاستعارة «بجدية»، فمن الصَّعب ترجمتُها بأيِّ شكل آخر غير التماهي. فلمَّا نستعمل استعارة جيدة، فإنَّنا نعني «شعورًا» تأسيسيًّا: إنَّ «الاستعارة الجيدة **تثير إعجابا**، أو تضرب، أو تستولي على قائلها: إنَّنا نريد أن نقول إنَّنا حصلنا على «ومضة من التبصر».[63]

يقدِّم ماكس **بلاك** مثالاً رياضيًّا للتطابق في التَّفكير الاستعاري الَّذي يتعامل مع ضرورة بذل جهد من الخيال:

قد يطلبُ المرءُ من طفل أنْ يفكِّر في كلٍّ من الأشكال الآتية على أنَّها مثلث: مثلث يتألف من ثلاثة أجزاء **منحنية**؛ وقطعة مستقيمة (يُنظَر إليها على أنها مثلث مائل، ورأسه على القاعدة)؛ وخطان متوازيان ينطلقان من قطعة قاعدة (حيث «يذهب الرأس إلى ما لا نهاية»)؛ وهكذا. إنَّ الجهود الخَيالية المطلوبة في مثل هذه التَّمارين (المألوفة عند أي طالب رياضيات) ليست نموذجًا سيئًا لمَا هو مطلوب لإنتاج، ومعالجة، وفهم كلِّ شيء باستثناء أبسط الاستعارات. ويبدو أنَّ استعمال المفاهيم المعنية المستعملة يجبُ أنْ يتغيَّر [...] وهو أمر ضروري للعملية.[64]

إنَّنا نرى في خطاب **ماكس بلاك** ارتباطًا ناشئًا بين الاستعارات الَّتي تتضمن **تبصُرا** محددا، وتنطوي على جُهد خيالي، والاستعارات الإبداعية، والَّتي تعدُ استعارات «قوية» بقدر ما هي «حازمة ومؤثرة بشكل ملحوظ».[65] ومن هذا المنظور، تكتسب اختيارات **ماكس بلاك** المعجمية في المجال الدلالي «للرؤية» أهمية جديدة. يقدم **ماكس بلاك** في كتابه «**مزيدا من الحديث عن الاستعارة**» مثالاً بصريًا لتبرير إبداع الاستعارة: فهو يقارن بين الرُّؤية الَّتي تمكنها الاستعارة، والرُّؤية البطيئة الَّتي يوفرها التَّصوير السِّينمائي: يتم تحديد الرؤية البطيئة من خلال الوسيلة المحددة، ولكن يمكن القول أيضًا إنَّها **موضوعية**؛ لأن «ما يُرى في فيلم بطيء الحركة يصبح جزءًا من العالم بمجرد **رؤيته**».[66] ويدعي في المقالة نفسها، أن الاستعارات تعمل كأداة معرفية «لا غنى عنها لإدراك الرَّوابط الَّتي إذا **أدركت**، فإنَّها تصبح **إذن** حاضرة حقًا».[67]، يتناول بالإضافة إلى ذلك مثال الشَّاشة، الذي اقترحه بالفعل في مقالة «**الاستعارة**»، لتفسير الفجوة بين الاستعارة والتَّمثيل. يدعي **ماكس بلاك** أنَّ «النَّظر إلى مشهد من خلال نظارات زرقاء يختلفُ عن **تشبيه** هذا المشهد بشيء آخر».[68] في الاستعارة القوية، لا تكون التوافقات والمضامين تشابهات يتم صياغتها، وإنَّما شيءٌ يتم إنتاجُه، وينتج عن الاستعارة الَّتي «نمر عبرها». يشير تمثيل

62 - نفس المصدر، ص.448.

63 - بلاك، ماكس، (1977)، ص.446.

64 - نفس المصدر، ص.448.

65 - نفس المصدر، ص.451.

66 - نفس المصدر، ص.454.

67 - نفس المصدر، ص.454.

68 - نفس المصدر، ص.445.

ماكس **بلاك** أيضًا إلى أنَّ الاستعارة المؤكدة على نحو جدي **تضع في صورة**، وتجعلُ المرءَ يرى شيئًا جديدًا. إن التفكير-**كما هو** في الواقع **رؤية**- حيث تتعايش فيه المُباشرة مع التَّوتر بين الاختلافات.

إنَّ فكرة تجربة «الرُّؤية-مثل» في الاستعارة تشيرُ إلى مقارنةٍ مثيرةٍ بنقاش **فيدغنشتاين** في كتاب «**تحقيقات فلسفية**» الذي صدر سنة 1953.[69] سوف نذكر بإيجاز بعض الجوانب منه. فيما يتعلق بصورة الجشطالت «بطة-أرنب» وتجربة «ظهور» البطة، حيث يُرى الأرنب سابقًا، يكتبُ **فيدغنشتاين**: «هلْ بمقدوري أنْ أقول؟ وأصف التَّغيُّر مثل الإدراك؛ تمامًا كما لو أنَّ الشَّيء قد تغيَّر أمام عيني [...] «آه، الآن أرى هذا»، قد أقول (أشير إلى صورة أخرى، على سبيل المثال). هذا له شكلُ تقرير عن إدراك جديد».[70] ولكن **فيدغنشتاين** يكتب أيضاً، أنَّ «التَّعبير عن تغيُّر في المظهر هو تعبيرٌ عن إدراكٍ **جديد**، وفي الوقت نفسه تعبير عن إدراك غير مُتغيِّر».[71] وإذا قررنا، من أجل تفسير هذا التوتر، أن نقول إننا «نرى الصُّورة كبطة»، فإننا نقترح مزيجاً من الرُّؤية والتفكير: «إنَّ «الرؤية مثل...» ليست جزءاً من الإدراك. وبالتَّالي فهي مثل الرُّؤية، ومرة أخرى ليست مثل الرُّؤية».[72] ومع ذلك، لا ينبغي لهذا الاستعمال للغةِ أنْ يقودَنا إلى وضع نظريات حول ثنائية تحتاجُ إلى التَّوفيق بينها، وإلى اندماجٍ يحتاج إلى التَّوسط والتَّبرير، قال **فيدغنشتاين**:

163. «يمكنك الآن أن تفكر في هذا، الآن في هذا، وأنت تنظر إليه، يمكنك اعتباره الآن على هذا النحو، الآن على هذا النحو، وبعد ذلك سوف تراه الآن بهذه الطريقة، الآن بهذه الطريقة». ما هي الطريقة؟ وبعد كلِّ شيء، لا يوجدُ أيُّ تحديد آخر.

164. ولكن كيف يمكن أن نرى شيئًا وفقًا لتأويل ما؟

- يطرح سؤال الأمر كواقعة غريبة؛ وكأنَّ شيئًا ما قد تم ضغطه في قالبٍ لمْ يكن مناسبًا له، ولكن لمْ يحدثْ هنا أيُّ إرهاق أو ضغط.[73]

في الواقع، إذا رأى المرءُ الصُّورة الجشطالتية على أنَّها أرنب أو بطة، فهو في الأساس يرى بطريقة مختلفة؛ ويمكن حتى أنْ يُقال - وهذا يمكنُ أن يكون الحال أيضًا بالنسبة إلى الرُّؤية الاستعارية - إنَّه يرى أشياء مختلفة حرفيًّا.[74]

---

69 - فيدغنشتاين، لودفيغ، **تحقيقات فلسفية**، الجزء الثاني، الفصل 11، الترجمة الإنجليزية، 2009

70 - نفس المصدر، ص. الفقرتان: 129-130، ص.206

71 - نفس المصدر، الفقرة: 130، ص.206

72 - نفس المصدر، الفقرة: 107، ص.207

73 - نفس المصدر، ص.211

74 - كوباليك، س، (2018)، **نظرية الاستعارة ومظهر الرؤية**، ص ص.106-107

5

يبدو من المُمكن تسليط الضَّوء على بعض التوافق بين الشُّعور بالمباشرة في تجربة الرُّؤية-مثل، وتجربة الاستعارة في المُواجهة المُهمة بين **ماكس بلاك** و**دونالد ديفيدسون**. لقد رد **ماكس بلاك** على مقالة **ديفيدسون** التي عنوانها: «**ما تعنيه الاستعارات**»، والَّتي نشرت سنة 1978،[75] بمقالة تحت عنوان: «**كيف تعمل الاستعارة**»، والَّتي نشرت سنة 1979.[76] يأخذ **ماكس بلاك** هنا جملة استعارية اقتبسها من **ديفيدسون** («الاستعارة عمل من أعمال أحلام اللُّغة») ويقدِّم مُلخَّصًا للتأكيدات الحقيقية حول الاستعارة القائمة على الفِطرة السَّليمة، والَّتي يُقصد بها أنْ تكونَ وجهة نظر ما قبل النَّظرية. يؤكد **ماكس بلاك** أولا أنَّ الاستعارة **لها معنى**: إذ يقولُ صاحبُ الاستعارة شيئًا، ويعني ما يقولُه (أي أنه كان يقصد أنْ يُؤخذ الحديثَ على محمل الجد). وعليه، فالاستعارات يمكن فهمُها أو إساءة فهمِها، ويمكنُ رفضُها أو تأييدُها. وقد تفشلُ الاستعارة أو تنجح، وقد تكونُ ملائمة أو لا تكون ملائمة. وعادةً ما تنطوي العبارات الاستعارية، في سياقها، على مضامين أخرى غير مُعلنة: إذ عادةً ما يشير صاحب الاستعارة إلى أشياء أخرى ويقترحُها ويقيِّمها. ثم إنه، وبناء على افتراضات مقالته، التي عنوانها: «**مزيدا من الحديث عن الاستعارة**»، يدعي **ماكس بلاك** أنَّ الجُملة الاستعارية التي قالها ديفيدسون (الاستعارة باعتبارها «عمل من أعمال أحلام اللغة») تُعبِّر عن وجهة نظرٍ مميزة للاستعارة، وتقدم **تبصرا جديدا** لماهية الاستعارة. يدعي **ماكس بلاك** أنَّ الاستعارة تتعاملُ مع التَّعبير كإحساسٍ مختلفٍ بالإشارة، وكإحساس مختلف بالقول؛ ويؤكد كذلك أنَّ التَّحليل ذاتَه يمكن أنْ يُفسِّر التَّعبيرَ كنوع مُختلف عن الإشارة.

في مواجهته مع **ديفيدسون**، يعترف **ماكس بلاك**، من جهة أخرى، أيضا في مقالته الَّتي نشرت سنة 1979[77] بحدود تحليله في وجهة نظر التَّفاعل. إنَّه لا يزالُ يعتقد أنَّ الاستعارة هي شيء أكثر من مجرد تشبيهٍ. فلا شك فيما يتعلق بالحاجة إلى التفكير الاستعاري: إذ لا يزال يعتقد أنَّنا نحاول رؤية (أ) على أنها (ب) استعاريًا، لأنَّنا في حاجة إلى «التَّعبير عن إحساسنا بالتوافقات، وبالعلاقات المتبادلة، وبالتمثيلات الغنية للمجالات المُنفصلة اتفاقيا».[78] لكن معنى «الشيء الأكثر» الَّذي يُميِّز تحديد الاستعارة يظل «مثيرًا للحيرة». يقول ماكس **بلاك** إننا: «نفتقرُ إلى تصورٍ ملائمٍ للفكرِ الاستعاري».[79] ومع ذلك، فإنَّ التَّحليل الفلسفي، بالنسبة إليه، قادرٌ على التَّعرف على ذلك «الشيء» المُتجاوز والإشارة إليه، وإضفاء المعنى عليه. إنَّ الحاجة إلى استعمال المتحدث للاستعارة مسألة معترف بها، وأخذها على محمل الجد يكون على أساس تحليل اللُّغة.

---

75 - ديفيدسون، دونالد، (1978)، «ما تعنيه الاستعارات».

76 - بلاك، ماكس، (1979)، «كيف تعمل الاستعارة».

77 - بلاك، ماكس، (1979)، «كيف تعمل الاستعارة: الرد على دونالد ديفيدسون».

78 - بلاك، ماكس، (1977)، ص.448

79 - بلاك، ماكس، (1979)، ص.143

إنَّ نداء **ماكس بلاك** لأخذ استعارات المُتحدث على محمل الجد ينبغي أنْ يؤخذ أيضًا على محمل الجد عند أخذ استعارات **ماكس بلاك** وتمثيلاته لمَّا يكتبُ عن الاستعارة. وهذا يعني أنَّ افتراضاته يمكن تطبيقها على تحليل اللُّغة، ويمكن تطبيقها على خطابه حول التحليل، وفقًا للاستمرارية بين اللغة والفلسفة التي استشهد بها **ريتشاردز**. ويمكنُ القول إنَّ استعمالَ الاستعارات يوجِّه تحليل **ماكس بلاك** نحو عتبة الجمال؛ لأنَّ استعاراته تتعامل مع تجربة الرُّؤية، ومع التماهي الإبداعي، ومع معنى **التعبير**، ومع الشُّعور بالتوافقات، ومع بعض **التَّبصر** الَّذي يجب **تجسيده**. ومع ذلك، فبما أن تحليل **ماكس بلاك** للاستعارة يشير إلى قيمة التَّبصر الاستعاري، فإن هذا التحليل قد يثبت أنه طريقة مناسبة لفهم عبور العَتبة الجمالية وأدائِها بشكل نقدي.

مصدر المقالة:

Giuliani, Alice., "Max Black on Metaphorical Language: Exploring the Line between Analysis and Aesthetics", Aesthetica, N. 123, Maggio-Agosto 2023, ISSN 0393-8522 DOI: 10.7413/0393-8522137 (ResearchGate, August 2023)

المَراجع المُعتمدة:

1. Beaney M., 'Analysis', in E. N. Zalta (ed.), "The S. E. Philo", Summer 2016 Edition, URL= https://plato.stanford.edu/archives/sum2016/entries/analysis/
2. Black M., *Philosophical Analysis*, in "Proceedings of the Aristotelian Society", 33 (1932-1933), pp. 237-258
3. Black M., *Vagueness: An Exercise in Logical Analysis*, in "Philosophy of Science", 4/4 (1937), pp. 427-455
4. Black M., *Some Questions About Emotive Meaning*, in "Philosophical Review", 57/2 (1948), pp. 111-126
5. Black M., *Critical Thinking: An Introduction to Logic and Scientific Method*, Prentice-Hall, Englewood Cliffs (NJ) 1952
6. Black M., *Metaphor*, "Proceedings of the Aristotelian Society", 55/1 (1954-1955), pp. 273-294
7. Black M., 'Models and Archetypes', in M. Black, *Models and Metaphors. Studies in Language and Philosophy*, Cornell University Press, Ithaca (NY) 1962a, pp. 219-243
8. Black M., *Necessary Statements and Rules*, in M. Black, *Models and Metaphors. Studies in Language and Philosophy*, Cornell University Press, Ithaca (NY) 1962b, pp. 64-94
9. Black M., *More About Metaphor*, in "Dialectica", 31 (1977), pp. 431-457.
10. Black M., *How Metaphors Work: A Reply to Donald Davidson*, in "Critical Inquiry", 6/1 (1979), pp. 131-143
11. Black M., 'Introduzione', in M. Black, *Modelli archetipi metafore*, Pratiche, Parma 1983
12. Black M., 'The Articulation of Concepts', in A. Mercier, M. Svilar (eds.), *Philos-ophers on Their Own Work*, Vol. 12., Peter Lang, Bern-Frankfurt Am Main-New York 1983, pp. 9-41
13. Contini A., Black *e Ricoeur filosofi della metafora*, in "Aisthema, International Jour-nal", 7/1 (2020), pp. 117-151
14. Davidson D. (1978), *What Metaphors Mean*, in "Critical Inquiry", 5/1 (1978), pp. 31-47
15. Giuliani A., *Max Black prima della metafora: la questione della "significanza*", in "estetica. studi e ricerche", 1 (2017), pp. 31-44
16. Giuliani A., 'Ivor Armstrong Richards and Max Black on Metaphor: Comparing Modes of Argumentation', in S. Calabrese, A. Contini (eds.), *Forms and Uses of Argument*, Peter Lang Verlag, Berlin 2023, pp. 105-124
17. Hester M. B., *Metaphor and Aspect Seeing*, in "The Journal of Aesthetics and Art Criticism", 25 (1966), pp. 205-212

18. Kubalík Š., *Theory of Metaphor and Aspect Seeing*, in "World Literature Studies", 10/3 (2018), pp. 104-113

19. Ogden C.K., Richards I.A., *The Meaning of Meaning. A Study of the Influence of Language upon Thought and of the Science of Symbolism*, Kegan Paul, Trench, Trubner and Co., London-New York 1923

20. Richards I. A., *The Philosophy of Rhetoric*, Oxford University Press, London 1936

21. Richards I. A., *Emotive Meaning Again*, in "The Philosophical Review", 57/2 (1948), pp. 145-157

22. Ricoeur P., *La métaphore vive*, Éditions du Seuil, Paris 1975; transl. *The Rule of Metaphor. Multi-disciplinary Studies of the Creation of Meaning in Language*, University of Toronto Press, Toronto-Buffalo- London 1977

23. Wittgenstein L., *Philosophical Investigations* (PI), rev. 4th edition by P. M. S. Hacker and J. Schulte, Wiley-Blackwell, Oxford 2009

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com